The Intellectual and Artistic Structure of Phonetics According to its Psychological and Social References

Researcher: Duaa Ali Malik
University of Basrah / College of Fine Arts
E-mail: Duaaa823@gmail.com

Prof. Ali Abdul Hussain Rahmah Al-Hamdani
University of Basrah / College of Fine Arts
E-mail:ali.rahma@uobasrah.edu.iq

Abstract:

The evolution of human life in various fields has resulted in a diversity of scientific discoveries related to human interaction, including the human voice. The science of phonetics has emerged to study the physical aspects of language and provide effective solutions to language and pronunciation problems that may hinder effective communication.

Phonetics was recognized in the early 20th century as one of the branches of linguistics among comparative linguists. Modern thought and contemporary scholars have turned to it because it examines the physical aspects of language and offers solutions to many language and pronunciation problems that exist in human life and social aspects when interacting with fellow humans. Communication relies on language between two parties (sender and receiver), and this process involves correctly formulating speech and letters, whether they are spoken or written, to achieve the intended purpose of the message.

Given the importance of communication, the researchers have studied this term, aiming to understand the intellectual and artistic structure of phonetics according to its psychological and social references, which is manifested in the theatrical arts, especially in theatrical performances.

Key words: Sound structure, social references, psychological references.

البنية الفكرية والفنية للفونوتيك على وفق مرجعياته النفسية والاجتماعية(*)

الباحثة: دعـاء علي مـالك أ.د.علي عبد الحسين رحمه الحمداني
جامعة البصرة / كلية الفنون الجميلة
E-mail: Duaaa823@gmail.com E-mail:ali.rahma@uobasrah.edu.iq

الملخص:

افرز تطور الحياة الإنسانية في مختلف الميادين، تعددا وتنوعا في الاكتشافات العلمية التي تعنى بتواصل الانسان مع أخيه الانسان ومنها صوته البشري، اذ تم اكتشاف علم يطلق عليه (الفونوتيك) يدرس الجوانب المادية للغة، ويضع حلولا ناجعة لمشاكل اللغة والنطق، التي قد تعيق الاتصال والتواصل الفاعل.

عُرف الفونيتيك في مطلع القرن العشرين، بوصفه أحد الفروع التي تندرج تحت علم الأصوات اللغوية عند دارسي علم اللغة المقارن. وقد توجه اليه الفكر الحديث والعلماء المعاصرين ، كونه يدرس الجوانب المادية للغة ويرى فيه حلولا لكثير من مشاكل اللغة والنطق التي باتت موجودة في الجوانب الحياتية والاجتماعية عند الانسان في تواصله مع أبناء جنسه، اذ ان عملية التواصل تعتمد على اللغة بين طرفين (المرسل _ المتلقي) وهذه الرسالة تتكون من صياغة الكلام والحروف بشكل صحيح سواء كانت صوتية أم مكتوبة للوصول الى الغرض المطلوب من الرسالة .

ومن خلال تلك الأهمية فقد درس الباحثان، هذا المصطلح ، منطلقين في معرفة البنية الفكرية والفنية وفق المرجعيات النفسية والاجتماعية للفونوتيك الذي يتمظهر في الفنون المسرحية ، وخاصة في العرض المسرحي .

الكلمات المفتاحية : البنية الصوتية ، مرجعيات اجتماعية ، مرجعيات نفسية.

* بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة: **تكاملية الفونيتك ومستويات الارسال الصوتي في العرض المسرحي العراقي**

الفصل الاول

الاطار المنهجي

اولا : مشكلة البحث والحاجة اليه:

تعتبر اللغة، واحدة من أهم وسائل التواصل في الحياة الاجتماعية. بل انها تعد هوية الشعوب والأمم التي تعبر عن منطلقاتها الفكرية والثقافية، وكل مكونات حضارتها الانسانية في الماضي والحاضر والمستقبل. ولا تندرج تحت هذا المسمى، اللغة الملفوظة فقط، بل تتعداه الى لغة الاشارة، والحركة، والجسد، ولغة الالوان والروائح، والهدايا، ومظاهر التفاعل الاجتماعي الأخرى.

تكمن السمة المميزة لتكاملية الفونوتيك ومستويات الارسال الصوتي في العرض المسرحي من خلال النظر الى العرض المسرحي،كوحدة ارسالية واحدة، تشترك فيها عناصر عديدة تحيل الى مقترباتها الأولية، بدءا من النص المسرحي بحمولاته الدرامية، مرورا برؤية المخرج التفسيرية أو التأويلية لذلك النص .

وقد وجد الباحثان الحاجة الى تتبع البناء الفكري والمعرفي والحاجة في معرفة اهم الدوافع النفسية والاجتماعية للفونوتيك، من خلال دراسة بنية الفونوتيك الفلسفية كونه اللغة مرآة المجتمع ومن خلالها تنوعت اللهجات واللغات، بل تنوع صوت اللفظ للحرف، من قوم الى آخرين، على وفق تنوع وتعدد أجناس تلك الاقوام والحضارات ، والذي يتمظهر في الفنون المسرحية ، وخاصة في العرض المسرحي

ثانيا : أهمية البحث :

تتجلى اهمية البحث، في كونه يفيد الباحثين والدارسين لفنون اللغة بوجه عام . فضلا عن كونه يفيد المتخصصين والمشتغلين بفنون المسرح بوجه خاص .

ثالثا : هدف البحث :

يهدف البحث الى تعرف البنية الفكرية والمعرفية ، والدوافع السيكولوجية والسسيولوجية للفونوتيك.

رابعا : تعريف وتحديد المصطلحات :

البنية :

لغويا :

١- "ما بنيته، البنى، والبنى، وأبنيته، أعطيته بناءً، او ما نبني به دارا" (١،١٦٣٢)

٢- "نظام تحويلي يشتمل على قوانين ونعني عبر لعبة تحولاته نفسها، دون ان تتجاور هذه التحولات حدوده او تلتجئ الى عناصر خارجية. وتشمل البنية على ثلاثة طوابع، هي الكتلة/ التحول / التعديل الذاتي. والبنية مفهوم تجريدي لإخضاع الأشكال الى طرق أستيعابها" (٢،٥٢)

اصطلاحا :

١- " للبنية معنى خاص وهو أطلاقها على الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة بحيث تكون كل ظاهرة منها تابعة للظواهر الأخرى، ومتعلقة بها"(٣،٢١٨)

ويحدد الباحثان التعريف الاجرائي للبنية: هي بناء متعدد المستويات كالمستوى الدلالي والاجتماعي والنفسي والمستوى الفني يقوم على بناء فكري صادر من تطوير المصمم للبنى بوصفها نشاط فني اجتماعي نفسي دلالي .

الفونيتيك :

لغويا :

١- يعرف احمد مختار الفونيتيك" الصوتيات علم الصوت، دراسة الصوت من حيث حدوثه وانتقاله وانعكاسه وانكساره وتداخله وقياسه ، علم الأصوات دراسة الأصوات من حيث مخارجها وصفاتها وكيفية صدورها "(٤ ، ١٣٣١) .

اصطلاحا :

٢- عرفه بسام بركة بوصفه" علم الأصوات العام الذي يهتم بالوجه المادي لأصوات اللغة البشرية أي بدراسة العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية المعتبرة في تحقيقها الملموس وبمعزل عن وظيفتها، أي عن استخدامها في التواصل" (٥، ٦) .

٣- عرف الفونيتيك في المدرسة الامريكية والإنكليزية"هو العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية ويصنفها ويحللها من غير إشارة الى تطورها التاريخي وانما يشير الى كيفية انتاجها وانتقالها واستقبالها"(٦، ٢٧) ؟

ويحدد الباحثان التعريف الاجرائي للفونيتيك: هو علم خاص بحد ذاته يقوم على دراسة جهاز النطق والاصوات والكلام للممثل المسرحي ، فضلا عن المؤثرات الصوتية، وطريقة استخدامها التواصلية. ويعمل على تحسين الكلام المنطوق، والمؤثرات الصوتية، واشتغالها ضمن منظومة العرض المسرحي والية ومستويات ارسالها الى المتلقي، من خلال تكاملها، للتواصل معه عبر العرض المسرحي .

الفصل الثاني

المبحث الأول: البنية الفكرية والفنية للفونوتيك

يعد الصوت، وسيلة من وسائل الاتصال والتواصل للإنسان بشكل عام، وللممثل المسرحي بوجه خاص. ويحتوي على رسالة يرسلها الى المتلقي لكي يعبر عن ما بداخله من الألم، والوجع، والخطر. ويتبادل مع الآخر، بالصوت إشارات الحب، وصرخات الغضب والتهديد اذ" تتخذ الرسائل اشكالا عديدة بعضها يستخدم الاتصال اللفظي الذي يجمع بين اللغة المنطوقة والرموز الصوتية، والبعض الآخر يتخذ شكل الاتصال غير اللفظي الذي يتمثل في لغة الإشارة، والحركات، والافعال، والملابس، والألوان. ولعل أهم الأمور التي يجب مراعاتها في الرسالة، سهولة استيعابها من جانب المتلقي، واستخدام المؤثرات الاقناعية، ومراعاة خصائص الوسيلة المستخدمة في توصيل المعنى للجمهور المستهدف" أي ان الصوت هو وسيلة تفاهم وتواصل، ما بين الأشخاص يطلقها جهاز النطق على شكل رموز صوتية لتبادل الأفكار في ما بينهم (٧،١٥).

تميز الانسان بصوته، اذ اكتشف بفطنته الفطرية ان صوته الطبيعي يتمتع بمرونة تمكنه من تشكيله مثلما يريد، لكي يتواصل مع الآخرين، وان الحياة الاجتماعية هي التي ساعدت الانسان الى حد كبير في نمو لغته وتطورها.

جاءت الدراسات اللغوية في تحديد الطريقة العلمية لدراسة الأصوات، اذ ان الصوت الذي ينتجه الانسان يتميز بخصائص تختلف عن باقي الأصوات والمؤثرات، لذلك بحث العلماء على تحديد العوامل التي تساعد في دراسة الصوت والتعرف على خصائصه، وقد ساعد هذا على ظهور الفونيتيك(علم الأصوات العام).

يدرس الفونيتيك آلية اشتغال الأصوات المنطوقة، اذ" ينظر الى اللغة انها مجموعة من الأصوات ينتجها الانسان بواسطة جهازه الصوتي الذي يولد مزودا به، وهو يتكون من مجموعة من العضلات الواقعة بين هاتين النقطتين: الحنجرة، اللسان، اللثة، الحنك الأعلى، الحنك الأسفل "(٨،٢٥) .

ينتقل الصوت على شكل موجات الى اذن السامع، وان الصوت وسيلة تعبير لكل اللغات يصل الى عقول الناس فيحدث اثرا في قلوبهم، اذ كان النطق صحيحا وجميلا يعبر عن الفكرة أو الحدث لا ينبغي ان يكون حادا ولا غليظا ولا بطيئا ولا سريعا، بل ينبغي ان يكون سهلا سلسا يعبر عن المصداقية والإخلاص، فهو نتيجة القوة الذهنية والانفعالية للتعبير عن المحتوى الذي يقال. ونجد في المسرح ان الصوت الواضح والمسموع على الخشبة شيء مهم جدا، ومن غير هذا سوف يزعج صاحب الصوت المتلقي اكثر مما يؤنسه، ولمعرفة تكاملية الفونيتيك ومستوياته الارسالية، لابد من الوقوف و دراسة البنية الفونيتكية أو البنية الصوتية.

تتشكل مكانة الفونيتيك من بنيتها الفكرية المعاصرة، التي جعلت بعض النواحي العلمية تجد لنفسها مواضيع متعددة الأطراف في مناطق علمية أخرى وهي تمثل مرحلة ضرورية هامة في مراحل سير العلوم الإنسانية، اذ ان البنية تعرف بانها " كل مكون من الظواهر المتماسكة يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكن ان يكون ما هو الا بفضل علاقته بما عداه " بهذا تعد منهجا واداة تحليلية تنشأ على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم (١٢١،٩).

شغلت اقدم الدراسات، فكر الانسان واخذت موضع العناية والاهتمام، ومن أهمها الدراسات اللغوية بعامة والصوتية بخاصة ، اذ تعد الوسيلة الجوهرية والاساسية والرئيسية يستخدمها المرء في التواصل والتعبير عن جواهره ومشاعره وافكاره ومتطلباته الذاتية والاجتماعية وان الانسان بجانب اللغة يستخدم وسائل اتصالية غير كلامية في بعض الأحيان تصاحب منها الكلام أو بعضه الآخر مستقل عنها. ومن هذا المنطلق جاء مصطلح الفونيتيك أي علم الأصوات.

ان لبنية الفونيتيك الفكرية معاني كثيرة تداخلت بها مع عدة أنواع من العلوم، فقد اطلق دي سوسير ثنائية اللغة والكلام وعلم اللغة. ونجدها في الانثروبولوجيا عند ليفي شتراوس، وتندرج تحت مسمى التحولات عند جان بياجه. في حين وجد باحثون في حلقة براغ دراسة قوانين تحكم بنية نظام الصوتيات (الفونيتيك) اذ انه يعني" علم الأصوات البنائية العالمية المنتظمة. فالعصر الذي نعيش فيه يتميز باتجاهه الواضح في جميع العلوم لاستبعاد النزعة الفردية والتمسك بالعالمية، وعلى هذا فان علم الصوتيات لا يمثل ظاهرة منعزلة وانما يشكل جزءا من حركة علمية عامة "أي يقصد هنا دراسة البنية الصوتية وعلاقاتها المتبادلة مع الأنواع والوحدات اللغوية، لا طريقة انتاجها بصفة عامة(٧٨،١٠).

يعد الفونيتيك في وجهة نظر دي سوسير اللبنة الأولى في تناول الموضوع، اذ تمثلت هذه النظرة في الثنائيات اللغة، فقد فصل دي سوسير بين اللغة والكلام من خلال تقابلات الثنائيات وهي :

١- ثنائية اللغة والكلام: فرق دي سوسير بين اللغة والكلام، فصل بين ما هو فردي واجتماعي وما هو جوهري وثانوي اذ ان " اللغة ليست وظيفة الفرد، بل هي نتاج يهضمه الفرد بصورة سلبية، ولا تحتاج الى تأمل سابق.... اما الكلام فعلى العكس من ذلك فعل فردي، وهو عقلي مقصود" فاللغة يمكن دراستها بصورة مستقلة عن الكلام، وان اللغة والكلام كلاهما شيء ملموس أي الفونيتيك هو شيء ملموس (٣٢،١١) .

٢- ثنائية العلامة والمرجع: جاءت اللغة عند دي سوسير من العلامات والاشارات التي تنقل الأفكار اذ ان " اللغة نظام من الاشارات تعبر عن الأفكار ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة أو الالفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة أو العلامات العسكرية أو

غيرها من الأنظمة " أي ان الفونيتيك عبارة عن علامات صوتية واشارات رمزية فمثلا عندما يصفق الانسان ليدعو نادلا في مطعم يترجم هذا التصفيق بانه يدعو النادل لمساعدته (٣٤،١٢) .

٣- ثنائية الدال والمدلول: ان الإشارة اللغوية عند دي سوسير هي الرابط بين الفكرة والصورة الصوتية أي ان الدال هو الصورة الصوتية والمدلول هو الفكرة، نجد العلاقة بين الدال والمدلول لم تكن عشوائية أو اعتباطية بل ضرورية " فالإشارة اللغوية تربط بين الفكرة والصورة الصوتية وليس بين الشيء والتسمية. و لا يقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزياوية للصوت بل الصورة السيكولوجية للصوت أي الانطباع أو الأثر الذي تتركه في الحواس" مثال على ذلك صوت الشهيق(الدهشة) تعتبر دلالة لمعنى ما، أي الصورة السمعية للدهشة. اذن الدال ترجمة صوتية لصورة ما والمدلول المثير الذهني للدال (٨٤،٨٥،١٣) .

٤- ثنائية التزامن والتعاقب: تختص هذه الثنائية بتحليل الظاهرة الصوتية(الفونيتيك) اذ ان هناك منهجين متناقضين، الأول هو(علم التزامني)الذي يدرس العناصر المتزامنة المتمثلة في العلاقات المنطقية والسيكولوجية مكونة نظاما في العقل الجماعي عند المتكلمين، اما الثاني(علم التعاقبي) الذي يدرس علاقات العناصر بشكل تعاقب زمني فلا يمكن ادراكها في العقل الجماعي من غير ان تكون هذه العناصر نظاما.

جاء المفكر الفرنسي(ليفي شتراوس) بنظرية مغايرة ومستقلة عن دي سوسير في مجال بنية الفونيتيك، اذ تداخلت افكاره، في مجال الانثروبولوجيا البنائية والاساطير والعلاقات الاجتماعية والبنية الاجتماعية و يأخذ أمثله من مجال علمه الخاص. و هنا جاءت التفرقة بين فكرة ليفي شتراوس، لأن " فكرة البنية الاجتماعية لا تشير إلى الواقع التجريبي، وإنما إلى النماذج التي يتم تكوينها طبقا لهذا الواقع، والعلاقات الاجتماعية المادة الأولية التي تستخدم لتكوين النماذج التي توضح البنية الاجتماعية ذاتها، هذه البنية التي لا يمكن حصرها في مجموعة العلاقات القابلة للملاحظة في مجتمع محدد "وعليه ان نظرية شتراوس، تخضع لنوع من التنظيم المنطقي تبني علاقات مشتركة بين الظواهر مستخدم مصطلحات محددة كالنظام والبنية (١٢٦،١٤) .

يرى ليفي شتراوس، ان بإمكان الفونيتيك دراسة اختلاف المجتمعات عن بعضها البعض ذلك بسبب قربه من العلوم الطبيعية، اذ ان الفونيتيك موجود في جميع المجتمعات الإنسانية ولا يوجد مجتمع خالي من الاصوات مقابلا دراسة علم الانسان باللغة، ونرى اشتغالات الفونيتيك في الانثروبولوجيا اذ ان " علاقات القرابة مثلها مثل الحروف في الصوتيات في انها عناصر للدلالة، كما انها لا تكتسب دلالتها الا بشرط ان تنخرط في نظم خاصة كالحروف تماما، وهذه النظم _ كنظيرتها الصوتية _ تقوم الروح بصياغتها على

المستوى اللاشعوري للفكر اي يقصد بذلك ان قرابة المجتمعات حتى لو كانت متباعدة ، نجد ان هناك مجتمعات تتشابه ببعض الطقوس والعادات والتقاليد. كذلك الحروف والاصوات فإن الحروف هي الصورة الشكلية للصوت (١٥٠،١٥).

ان علم الصوتيات تداخلت في الانثروبولوجيا كما في الأسطورة والعلاقات الاجتماعية والبنية الثقافية للمجتمع عند ليفي شتراوس

المبحث الثاني : المرجعيات الاجتماعية والنفسية للفونوتيك :

يتصل الفونيتيك بالعلوم الإنسانية، كعلم النفس وعلم الاجتماع، كونه يشكل جزءا من حركة علمية وفنية.وبما ان الصوت هو وسيلة التواصل يحمل رسائل ذات معنى تصل الى اذن المتلقي، اذ " تعد التواصلية من منظور علم النفس اللغوي، إجراء تفاعليا، ينطلق من متكلم، عبر مرموز صوتي مقترن بالألفاظ، لتصل إلى أذن المستمع لهذه الأصوات، وتقوم الدورة الكلامية في أذن المستمع بالوصول إلى المخ، الذي يجري العمليات المفهومية لتلك الأصوات وتفسيرها" أي يبحث في المرجعيات النفسية للأصوات المنطوقة من اكتساب اللغة الأولى، وتعلم اللغات الأجنبية والعوامل النفسية المؤثرة في هذا التعلم، عيوب النطق، والعلاقة بين النفس البشرية والصوت بشكل عام(١١،١٦) .

أي ان اعتماد الاصوات جوهريا في علم النفس كان على الظواهر العقلية كالأدراك الحسي والتفكير، فتكوين الأصوات عند المتكلم تأتي وفق أفكاره لان الأصوات هي مرآة تعكس الأفكار ويرى أرسطو ان " اللغة هي الأصوات التي نستخدمها في نقل المعاني من شخص الى آخر كما يحدد الكلام على انه نتاج صوتي مصحوب بعمل الخيال من اجل ان يكون التعبير صوتا له معنى "اذ ان ادارك المستمع للأصوات وفهمه يأتي وفق الادراك الحسي وادراك المعنى والحكم وخيال الحركة والخيال السمعي والخيال النظري، وان اكتساب الأصوات عند الطفل جاءت وفق الحافظة والذاكرة والانتباه والإرادة، كل هذه الظواهر تندرج تحت مرجعيات نفسية (١٤،١٧) .

ينبع البحث عن المرجعيات النفسية للفونيتيك، من الحاجة لمعرفة حالات الأصوات المنطوقة ودلالاتها الفكرية والنفسية والاجتماعية فكل صوت يطلق من قبل الانسان يدل على صورة معينة أو حالة نفسية أو شعور معين لأننا " عند الكلام نستطيع ان نحدد الحالة النفسية للشخص المتكلم كأن يكون خائفا، أم حزينا، أم فرحا، أم غاضبا، أم مرحا. كما نستطيع تحديد الحالة الفسيولوجية للمتكلم، كأن يكون متعبا أم مستيقظا من النوم أم كان في حالة راحة تامة. كما نستطيع ان نحدد الحالة الصحية بصوت المتكلم، هل يعاني من اضطراب في النطق أو الصوت أو الكلام، ام عند ضعف سمعي أو يعاني من عيب في عضوا أو حروف "اذ يعبر الصوت، أو الطبقة الصوتية عن الحالة الشعورية للمتكلم (٨٩،١٨) .

من هذا المنطلق فقد تعددت الطروحات النفسية للفونيتيك ودراسة الحالات الشعورية وكيفية اكتساب وتطور الأصوات من الطبيعة، ودراسة الاضطرابات التي تصيب الأصوات المنطوقة وهذا ما سنرى استثماره بشكل علمي في انتاج المستوى الصوتي من قبل الممثل المسرحي، والمؤثرات الصوتية، والموسيقى، كما سيرد تفصيله في المبحث القادم، من هذه الدراسة.

اهم الطروحات النفسية لعالم النفس النمساوي (سيغموند فرويد ١٨٥٦-١٩٣٩) كان يرى ان الأصوات التي تصدر عن الانسان هي نتيجة الكبت، والغريزة الجنسية، والاحلام، واللاوعي حيث تؤدي الأصوات الناتجة تكوين صور عن ما هو موجود في العقل الباطن اللاوعي، اذ" يرى فرويد ان زلات اللسان شيء مهم مثل الاحلام نظرا لان هذه الزلات حسب افتراضه تكشف عن العقل الباطن أو اللاوعي"أي ان انتاج الأصوات والكلام الناتج عن زلات اللسان هو رموز تعكس الاحلام والغرائز والكبت، واللاوعي للعقل الباطن(٦٧،١٩).

يرى الباحثان ان هذه المرجعيات السيكولوجية التي نادى بها فرويد تظهر على المسرح بصورة قصدية، موضوعة من قبل المؤلف حصرا وينفذها المخرج عبر الممثل وعناصر العرض الأخرى من المؤثرات الصوتية، والموسيقى.

قد دفعت طروحات العالم النفسي(فرويد) في اللغة والاصوات، مجموعة من الباحثين الى الاخذ بأسلوب جديد من الدرس اللغوي، فقد ظهرت العديد من المدارس في تحليل اللغة ومكوناتها وأنظمتها، وفضاءاتها المعرفية والسيكولوجية والاجتماعية المتعددة، فقد رأت الباحثة ان تتناول ذلك، بصورة قصدية منتخبة، للتعرف على الآراء التي لها علاقة مباشرة بموضوعة المرجعيات النفسية من اجل بلورة مؤشرات تخدم سير الدراسة.

١- المدرسة السلوكية:

تناولت المدرسة السلوكية، أو نظرية التعلم والتشريط عند (جون واطسون ١٨٧٨- ١٩٥٨) و (بورهوس سكينر ١٩٠٤- ١٩٩٠)السلوك اللفظي المعقد، اذ وصفت" اللغة من زاوية النظريات السلوكية _ استجابات يصدرها الكائن ردا على المنبهات تأخذ شكل السلوك الخاضع للملاحظة المباشرة "أي ان الانسان عندما يصدر الأصوات هي استجابات لحدث معين تلقى منها حافزا أو مثيرا أو تعزيزا إيجابيا أو سلبا. ونلمس هذه الاستجابات في المسرح من قبل المتلقي عندما يتفاعل مع المثيرات التي تصدر من الممثل أو المؤثرات الصوتية، وقد تكون هذه الاستجابات بصورة إيجابية أو سلبية (١١٦،٢٠) .

اكدت المدرسة السلوكية على ان اللغة والاصوات مجموعة من العادات السلوكية يكتسبها الفرد كغيرها من العادات، فقد رأى سكينر ان اللغة هي" سلوك انساني آلي تكتسب بطريقة حسية آلية كما تكتسب الجوانب الأخرى من السلوك الإنساني، كالجري، ولعب الكرة، والسباحة، وقيادة السيارة، والضرب على الالة

الكاتبة، ونحو ذلك من أنواع السلوك الالي " يقصد هنا بان اللغة عادة سلوكية يتم اكتسابها بنفس الطرق التي يتم اكتساب بها العادات السلوكية الأخرى، عن طريق المحاكاة، التكرار، والتقليد، والتعزيز لعناصر اللغة واشكالها(٤١،٢١)

ان اللغة والاصوات من وجهة نظرة واطسون وسكينر، هي مهارة يتملكها الفرد من خلال المنبهات، والملاحظات العقلية، والمحاولات، والمرجعيات النفسية، لها تأثير في انتاج الأصوات، كما انها عادة كالعادات السلوكية التي يتم دعمها بالمكافأة، اذ ان اللغة عند سكينر هي" عبارة عن مهارة ينمو وجودها لدى الفرد عن طريق المحولة والخطأ، ويتم دعمها عن طريق المكافاة، وتنطفئ اذا لم تقدم المكافاة، وفي حالة استخدام اللغة فان المكافاة قد تكون أحد احتمالات عديدة، مثل التأييد الاجتماعي أو تقبل من الوالدين أو الآخرين للطفل عندما يقدم منطوقات معينة، وخصوصا في المراحل المبكرة من الارتقاء " (١١٧،٢٢)

يمكن استثمار هذه المكافآت في المسرح من خلال تفاعل الجمهور مع المستويات الصوتية الصادرة من العرض المسرحي، من قبل الممثل أو المؤثرات الصوتية، كان يكون تشجيع من خلال التصفيق، والثناء على الممثل والمؤثر الصوتي، ويسمى بالتفاعل أو المكافاة الإيجابية، أو الرفض، وعدم الاستمتاع ويسمى بالتفاعل أو المكافاة السلبية.

اثرت طروحات واطسون وسكينر السلوكية على العلماء والفلاسفة من المدرسة السلوكية، فقد أسس بلومفيلد المدرسة اللغوية النفسية، مستقلة بآرائها وذات معالم واضحة، هي المدرسة السلوكية التي عرفت باسمه جمعت بين مذهبين واضحين هما السلوكي في علم النفس، والبنيوي في اللغة.

تعد الأصوات اكثر من مجرد لغة، فالإنسان بإمكانه اصدار الكثير من الأصوات المختلفة ، اذ ان الأصوات لا غنى عنها في حياة الفرد فمن خلالها يعبر الفرد عن نفسه، وفكره، ومعتقداته، وحياته، ويتواصل، ويتفاهم مع الآخرين فقد تكون في الظاهر أصوات مجردة لكنها تحمل معان ودلالات اجتماعية سيكولوجية فكرية أي" ان الكلام وظيفة اجتماعية باعتباره وسيلة للاتصال وطريقة لتمييز المجموعات الاجتماعية المختلفة، كما ان دراسة الكلام دون الرجوع الى المجتمع الذي يتحدث به هو استبعاد لاحتمالات وجود تفسيرات اجتماعية للأبنية والصيغ المستخدمة في الكلام "أي تلعب دورا مهما في حياة الفرد وكل هذا يعود لعملية مكتسبة في نشأته في مجتمع معين تلقى الأصوات من خلاله، ويعود أيضا الى تكوينه البيولوجي وقدرته في نطق وتعلم الأصوات(١٦،٢٣).

فضلا عن نشأة وتكون اللغة التي يتكلم بها مجتمع انساني عبر العصور، باختلاف لغة مجتمع انساني آخر، اذ يمكن القول" ان اللغة هي نتاج القوى الاجتماعية لا يكفي، دليلا على ان اللغة غير حرة. فعلينا ان نتذكر دائما انها ميراث العصور السابقة. لذا يجب ان نضيف ان هذه القوى الاجتماعية مرتبطة بالوقت. فاللغة لا يقرها الثقل الجماعي حسب، بل الوقت ايضا "(٩٢،٢٤).

من هذا المنطلق، يلحظ اهتمام علم الاجتماع بدراسة الأصوات ونسقها الثقافي، و مرجعياتها الاجتماعية والثقافية، وبإمكانها التغيير حسب الثورات الفكرية، وتقدم الآلات الموسيقية، والتقدم التكنولوجي، كلها عوامل مؤثرة في تغير النسق الاجتماعي الثقافي للأصوات وفي شتى الميادين اللغوية والفنية، اذ يمكن تعريف علم اللغة الاجتماعي"هو دراسة الواقع اللغوي في اشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معان اجتماعية وثقافية، مألوفة أو غير مألوفة من خلال النهر المتدفق للتبادل الاجتماعي" أي هو الوسيلة للإفصاح عن علاقات الفرد مع المجتمع والعلاقات الشخصية والقيم الثقافية، ومدى تأثر هذه العلاقات والقيم بالأصوات ودراسة اللهجات واللكنات الاجتماعية المختلفة (١٠،١١،٢٥) .

يمكن تطبيق هذا المفهوم في فن المسرح من خلال تمييز المستوى الصوتي لتشكيله ثقلا كبيرا في تفسير ونقل صورة حية لمجتمع ما من خلال استخدام مؤثر صوتي يخص هذا المجتمع أو موسيقى تعبر عن مجتمع ما، كاستخدام صوت الطبول، وصوت وقع الاقدام الراقصة في نقل صورة عن الطقوس الهندية مثلا، في العبادة وتقديم القرابين للإله، واستخدام مؤثرات صوتية لأصوات طيور وحيوانات، وخرير الماء، وحفيف الاشجار، ونبرة صوت الممثل العالية لينقل صورة الريف للمتلقي، يتم هذا عبر تكاملية الفونيتيك ومستويات الارسال الصوتي في صورة مسرحية.

تتأسس تكاملية الفونيتيك في العرض المسرحي، وفق جملة من البنيات الاجتماعية والنفسية والتعبيرية والفنية، برؤى وطروحات ذات اطار فني مؤثر ومعبر لإيصال رسالة فكرية، وفنية، واجتماعية، ونفسية لمشاهدي العرض المسرحي من خلال صوت الممثل، والموسيقى، والمؤثرات الصوتية.

تحقق الصورة السمعية والصورة البصرية، تكاملية العرض المسرحي من خلال انسجام احداث العرض المسرحي مع صوت الممثل، أو الموسيقى، أو المؤثرات الصوتية، لكي تخلق منفذا معبرا الى وجدان المتلقي، ولكن في بعض الأحيان لا تصل الصورة السمعية للمتلقي، وقد تكون هناك عيوب تحصل في الصوت سواء أكانت عيوبا عضوية، أم عيوبا نفسية، أم عيوبا اجتماعية. ولابد للممثل ومقدمي العرض المسرحي، من التعرف على هذه العيوب، من اجل معالجتها، والارتقاء بالقيمة الارسالية للعرض المسرحي. ومن تلك العيوب :

١- **الثاثأة : وهو صوت يدل على نطق الأصوات الصفيرية نطقا غير صفيري، وتحدث في مراحل عمرية مبكرة عند الفرد أي في مرحلة ابدال اللسان أو عدم نمو الاسنان بصورة صحيحة، أو تحدث لأسباب وظيفية، اجتماعية، نفسية.**

٢- **اللثغة: وهي تدل على ابدال الراء لاما، أو ابدال الجيم دالا، وتحدث اللثغة لأسباب كانتماء الفرد الى لهجة اجتماعية، فتوثر هذه اللهجة الخاصة على نطق الأصوات، ونجدها عند ثنائيي اللغة.**

٣- الخنخنة: وهي تدل على الأصوات الخارجة من تجويف الانفي، ويصعب على المصاب نطق الأصوات وخاصة الأصوات الصامتة، أو ينطقها بصورة غير صحيحة، ويحدث هذا نتيجة فجوة في سقف الحنك أي عندما يكون الجنين في بطن امه، وهناك نوعان من الخنخنة :

١- خنخنة اتساعية وسببها اتساع فتحة الانف.

٢- خنخنة انغلاقية وسببها ضيق فتحة الانف.

٣- التلعثم: يكون في ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: التوترية وهي مرحلة صعوبة الفرد على نطق والتعبير عما في نفسه.

المرحلة الثانية: الاهتزازات يجد الفرد صعوبة في نطق بداية الكلام وإعادة لأجزاء الكلام وتوتره وارتعاشه.

المرحلة الثالثة: اعتقال اللسان يتوقف المريض عن الكلام، مع تشنج وارتعاش في الفكين وعضلات الوجه وضغط على الشفتين والفكين.

وقد اختلف الباحثون في أسباب حدوثه فيرى البعض حالة نفسية، والبعض حالة وراثية، والبعض نتيجة مشكلات لغوية ونطقية .

٤- اللجلجة: وهي تدل على احتباس الكلام والتصاق الأصوات في فم الفرد، وانفجار للكلمة في الشفتين مع مصاحبة حركات ارتعاشية، أي تعتبر علة من علل اللسان، وتحدث بسبب الحالة النفسية للفرد وتأثير السلبي على الفرد بسبب الاهتمام الزائد أو الحرمات الزائد.

٥- البحة الصوتية: وهي تدل على الامراض الحنجرية وقد توصف بانها هستيرية، تحدث لأسباب عضوية ونفسية، وتنقسم البحة الى أنواع هي(البحة الصوتية التشنجية، البحة الصوتية النفسية، احتباس الصوت الهستيري، اجهاد الصوت).

٦- الحبسة الحركية: وهي تدل على حبسة الكلام أو الحبسة اللفظية، ويفقد بها الفرد القدرة على التعبير الكلامي دون الفهم، والمصاب بهذه الحالة يكون كلامه قليلا وبطيئا(٣٣٠،٣٣٢،٢٦) .

النتائج والاستنتاجات :

١- يختلف الصوت الانساني، عن اصوات بقية الكائنات الحية، كونه رموزا تتشكل على وفق نظام معين ، يمكن من خلاله التفاهم والتفاعل . فضلا عن كونه يخضع لعملية ادراكية عقلية .

٢- نبع الاهتمام بدراسة علم الاصوات، لدى الانسان، عندما ازدادت عدد الايماءات الصوتية وتنوعت اشكالها ودلالاتها، وبعد ان تنامى وعي الانسان وادراكه بتأثيرات بيئية

٣- تعتمد تكاملية الفونوتيك ومستويات الارسال الصوتي، في العرض المسرحي، على قدرة المرسل في تقريب الكلمات التي يلقيها، لمقتضى الحال الصوتي، وفق معطيات الشخصية الدرامية النفسية والاجتماعية.

٤- يمكن تحديد الحالة السيكولوجية، أو الفسيولوجية للمتكلم من خلال الصوت، كالفرح، أو الحزن، أو التعب، أو غيرها من الحالات الشعورية.

٥- يعد الصوت، طاقة أو نشاطا تقوم به اجسام وعناصر مادية. وبالتالي فهو يؤثر في الأذن عبر انتقال الذبذبات في الهواء، ليحدث السمع.

٦- تؤكد المدرسة السلوكية على ان اللغة والاصوات، هي مجموعة من العادات السلوكية، التي يكتسبها الفرد ، كغيرها من العادات، عن طريق المحاكاة، التكرار، والتقليد.

هوامش البحث :

١- الفيروزبادي: القاموس المحيط ، ط٣(بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣) ص١٦٣٢.

٢- سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (بيروت: دار الكتاب اللبنانية، ١٩٨٥) ص٥٢.

٣- جميل صليبا: المعجم الفلسفي ،ج١(بيروت: دار الكتاب اللبنانية، ١٩٨٢) ص٢١٨

٤- احمد مختار عمر:معجم اللغة العربية العاصرة ، مجلد الثاني(القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠٨) ص١٣٣١

٥- بسام بركة :علم الأصوات العام – أصوات اللغة العربية (بيروت : مركز الانماء القومي، ١٩٨٨) ص٦.

٦- عصام نور الدين : مصدر سابق ، ص٢٧.

٧- عصام شريف: أسس فن الالقاء (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ،٢٠١٥) ص١٥.

٨- محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات(المغرب: دار الرشاد الحديثة ، ١٩٨٠) ص٢٥.

٩- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الادبي (القاهر: دار الشروق ،١٩٩٨) ص١٢١.

١٠- صلاح فضل : المصدر السابق ،ص٧٨

١١- فرديناند دي سوسير:علم اللغة العام ، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز(بغداد: دار افاق عربية ، ١٩٨٥) ص٣٢

١٢- فرديناند دي سوسير : المصدر السابق ، ص٣٤

١٣- فرديناند دي سوسير : المصدر السابق ، ص٨٥،٨٤

١٤- صلاح فضل : مصدر سابق ، ص١٢٦

١٥- صلاح فضل : مصدر سابق ، ص١٢٨

١٦- علي عبدالحسين الحمداني: التواصلية في أداء الممثل المسرحي العراقي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بابل: كلية الفنون الجميلة،٢٠١١) ص١١

١٧- جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي(الكويت :عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب ،١٩٩٠) ص١٤.
١٨- نجاة علي: فن الالقاء بين النظرية والتطبيق (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ،٢٠١٦) ص٨٩
١٩- توماس سكوفل:علم اللغة النفسي، ترجمة:عبدالرحمن عبد العزيز(الرياض: مركز السعودي للكتاب،١٤٢٤) ص٦٧
٢٠- جمعة سيد يوسف: مصدر سابق ،ص١١٦
٢١- عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي: علم اللغة النفسي (الرياض:ب.م ،٢٠٠٦) ص٤١
٢٢- جمعة سيد يوسف: مصدر سابق ، ص١١٧
٢٣- هدسون:علم اللغة الاجتماعي، ترجمة:محمود عياط ، ط٢(القاهرة : عالم الكتب ،١٩٩٠) ص١٦
٢٤- فرديناند دي سوسير: مصدر سابق، ص٩٢
٢٥- عبد الراجحي: اللغة وعلوم المجتمع(طنطا: دار الصحابة للتراث ،٢٠١٢) ص١٠-١١
٢٦- عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي: النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية ، مصدر سابق ، ص٣٣٠-٣٣٢.